الأستاذة : إيمان أحمد

الأمان أكاديمي

تدريب على المقال الأدبي : أحمد شوقي أنموذجًا

الموضوع : يَرُوم شوقي من خلال قصائده الوطنيّة تعرية الواقع المأساوي من جهة وتأسيس لعالم بديل من جهة ثانية

توسّع في هذا القول مبينًا أهم المعاني الوطنية مدعمًا عملك بشواهد

التمهيد :

إنّ الوطن ليس مجرّد رقعة جغرافية نَحيا على أديمها، بل هو انتماءٌ وكيانٌ وهويّة تضرب بجذورها في أعماق الوجدان منذ نعومة الأظفار، وتنمو مع اشتداد العود لتغدو عشقاً يلامس حدود القدسيّة .وقد تجلّى هذا الهيام الوطني في أبهى صوره ضمن جنس »الشعر الوطني«؛ ذلك الفنّ الذي لم يقف عند حدود التغنّي بالديار، بل غاص في عمق القضايا القومية مستشرفاً سبل الخلاص.

ويبرز في هذا المضمار أحمد شوقي كقامةٍ شامخة لم تكتفِ ببث لواعج الحبّ والوفاء، بل قدّم وطنيّةً واعيةً لا تُبصر الجمال فحسب، بل تُشخّص بجرأةٍ تلك العراقيل التي تكبّل مسيرة الرقيّ؛ فجاء شعره صوتاً صارخاً يَرُوم تعرية الواقع المأساوي من جهة، والتأسيس لعالمٍ بديل مفعم بالحرية والكرامة من جهة ثانية.

تنزيل الموضوع : يَرُوم شوقي من خلال قصائده الوطنيّة تعرية الواقع المأساوي من جهة وتأسيس لعالم بديل من جهة ثانية

الإشكالية : فإلى أيّ حدّ استطاع شوقي ببيانه الساحر أن يجعل من قصائده مبضعاً يشرّح به جراح الواقع ويُعرّي مآسيه؟ وكيف استشرف بوجدانه الثائر ملامح عالمٍ بديلٍ ينهض على أنقاض الانكسار ليُعيد صياغة مجد الوطن من جديد؟

التحليل :

1: تصوير الواقع :

*صورة الشعب

إنّ المتأمل في مكنونات القصيد عند شوقي، والواغل في تضاعيف متنه الوطني، يلحظ وعياً سوسيولوجياً حاداً يتجاوز التوصيف السطحي للأحداث؛ فقد استحال قلمه مبضعاً جراحياً وسلاحاً فكرياً باتراً، لا يكتفي بمقارعة الخصم الخارجي، بل يشرّح بنية الاستكانة التي خيّم بظلالها السبات الحضاري على الأمة قمّةً وقاعدة، حتى غدا الغازي يطأ الديار دون أدنى مدافعة، وفي ذلك يقول واصفاً غفلة الرعاة والرعية:

الأمان أكاديمي

لمّا أتى الوادي وعَبّأ جيشهُ .. وجد الرّعية والرعاة نياما

ولم تقتصر تعريته على وهن الإرادة فحسب، بل غاص في كشف الأدواء الباطنية من أميّةٍ فكرية وسيطرةٍ للفكر الخرافي، مديناً تلك التصدعات والصراعات التي مزقت النسيج الاجتماعي وجعلت الأهل في تقاطعٍ وتدابر، وهو ما استنكره بلسانٍ وعظي قائلاً:

يُجزون فيه عن التقاطع بينهم .. أنّ انشقاق الأهل كان حراما

وعن الوثوب جماعة بجماعة يتنازعون ولاية و حطاما

وبذكاءٍ سياسي نافذ، فضح شوقي استراتيجية المستعمر الذي يقتاتُ على الشتات، ويتخذ من التكالب على بريق السلطة والخلافات الواهية مسوّغاً لبسط نفوذه وإشهار نواجذه، مُجسّداً ذلك في قوله:

مُستعمرٌ جعل الخلاف ذريعةً .. ليهزّ رمحاً أو يسلّ حساماً

صورة المستعمر :

أما في رسم ملامح المستعمر، فقد شحذ شوقي ريشته بمدادٍ من قتام الأسى، ليُعرّي وجه القوة الغاشمة التي استبدت بالبلاد وأثخنتها بمواجع المظالم؛ فصوّر المحتل في هيئة الطاغية الذي لا يرقب في العباد إلاّ ولا ذمة، يروض الأمة بسياسةٍ قوامها المراوحة بين حدّ السيف ولين الحرير، وبالتداول بين القهر والمهادنة، وفي ذلك يقول واصفاً أمد ذلك الاستبداد الطويل:

خمسون عاماً في البلاد يسوسها .. بالعنف عاماً والهداوة عاماً

ولم تقف مرارة هذا الواقع عند حدود التنكيل المادي، بل تجاوزتها إلى استباحة الوعي الشعبي والاستخفاف بالعقول المغلوبة؛ إذ فضح شوقي ببيانه النافذ تلك الوعود المسمومة والمواثيق المنكوثة التي اتخذها المحتل ستاراً لشرعنة وجوده وتأبيد مقامه، مستغلاً غفلة الظنون وسذاجة القلوب، وفي ذلك يقول منددا ببهتان تلك العهود الاستعمارية:

أعطى العهود وأقسم الأقساما أن لا يطول مقامه فأقاما

وهكذا، يرتسم المستعمر في مرآة شوقي كائناً يقتات على الزيف، ويمارس سلطةً ازدواجية تُسلّط الحديد تارةً وتنفث التضليل تارةً أخرى؛ مما جعل من الواقع المأساوي حصاراً خانقاً يكبّل الأجساد بالأغلال والعقول بالأوهام

التأليف الجزئي : لقد استطاع شوقي، ببيانه الفذ وبصيرته النافذة، أن يجعل من قصائده مرآةً صقيلة كشفت عورات الواقع المأساوي بكل تجلياته؛ فبسط أمامنا خارطة القوى المتصارعة بجرأة عزّ نظيرها. فمن جهة، عرّى صورة القوى الظالمة في جبروتها ومكرها، متمثلة في مستعمرٍ يتنفس الزيف ويمارس الاستبداد، ومن جهة أخرى، شخّص حال القوى المظلومة في سباتها وانقسامها، واضعاً يده على الجرح النازف في جسد الأمة. إلا أن شوقي لم يقف عند حدود التوصيف القاتم أو

الأمان أكاديمي

البكاء على الأطلال، بل جعل من هذه المكاشفة القاسية منطلقاً لاستشراف غدٍ مشرق؛ فبين طيات النقد كان يزرع بذور الأمل، ويستنهض الهمم للتحرر من أغلال الوهن، مستبشراً بفجرٍ قريب تنبثق فيه أنوار السيادة، ويُشيّد فيه صرح العالم البديل الذي لا يرضى عن العلياء والكرامة بديلاً.

2: تأسيس عالم جديد افضل :

لقد آمن شوقي بأنّ استئصال أدواء الواقع لا يكتمل إلا بوضع أحجار الزاوية لـ عالمٍ بديلٍ باذخ، ينهض على أنقاض الانكسار ليُعيد صياغة المجد؛ فشيّد ببيانه الساحر معالم غدٍ مشرق، مباينٍ تماماً لذلك العالم المأساوي في قيمه وركائزه. فكان أول ما رامه هو استنهاض الهمم الرّاكدة ونفض غبار السبات عن العزائم، داعياً جيل الغد إلى التسلّح بإرادةٍ صلبة لا تلين، فجعل من النداء استنهاضاً وجدانياً يحمل أمانة البناء، حيث يقول في نبرةٍ تفيض حزماً وثقة:

يا أيُّها الجيلُ الذي يَبني غَداً .. كُن في بِنائِكَ حازِماً مِقداما

ولم تكن هندسة هذا العالم الجديد عند شوقي ماديةً بحتة، بل هي بناءٌ قيميٌ يرتكز على عاطفةٍ جامعةٍ تذيب رواسب الفرقة والشقاق؛ فبذر في صفوف أبنائه قيم الحبّ والتعاون، جاعلاً من اللحمة الوطنية أداةً مقدسة لا غنى عنها في معركة الوجود، فحثّ على جعل الوئام والتآلف وقوداً لهذا الصرح العظيم بقوله:

واجعل أداتَك في البِناءِ مَحبةً .. وتَعاوُناً وتآلُفاً ووئاما

وإمعاناً في تحصين هذا العالم البديل، اتكأ شوقي على الأسلوب الحِكمي وصيغ الأمر الجزلة، داعياً إلى استنطاق التاريخ واستلهام العِبر من مجد الأسلاف؛ فالماضي عنده ليس قيداً بل هو نبراسٌ يضيء دروب الحاضر، وزمامٌ يقود الأمة نحو غاياتها المنشودة بوعيٍ وبصيرة، وهو ما جسّده في قوله الحكيم:

وانظر إلى الماضي فإنّ المهتدي .. مَن يجعلِ الماضي هُدىً وزماما

وهكذا، نجد شوقي قد رسم ملامح يوتوبيا واقعية، تنتقل بالوطن من حالة الوهن والتشرذم إلى آفاق السيادة، مؤكداً أنّ العالم البديل لا يُبنى بالحديد والنار وحدهما، بل بقلوبٍ يجمعها الود، وعقولٍ يسكنها الحزم، وبصيرةٍ تستمد من جلال التاريخ قوة الانطلاق نحو المستقبل.

التأليف الكلّي :

صفوة القول ومستقر البيان، إن التجربة الوطنية في مدونة أحمد شوقي لم تكن مجرد صدى لوجدان عاطفي عابر، بل كانت مشروعاً حضارياً متكاملاً ينهض على جدلية الهدم والبناء؛ فقد استطاع أمير الشعراء بعبقريته الفذة أن يزاوج بين دور المؤرخ الناقد الذي هتك أستار الواقع المأساوي، وعرّى قبح المستعمر وتخاذل الرعية، وبين دور المستشرف الملهم الذي وضع هندسة قيمية لعالم بديل يشمخ بالأنفة والسيادة.

الأمان أكاديمي

لقد أثبت شوقي أن الكلمة إذا ما امتزجت بصدق الانتماء غدت سلاحاً يفوق في مضاؤه حد الحسام؛ فمن عتمة السبات الحضاري والتمزق الداخلي، استل خيوط الفجر ليبشر بجيل يبني الغد بسواعد الحزم وأدوات المحبة، مستنداً إلى تراث الأسلاف كنبراس يضيء الدروب وزمام يقود نحو المجد. وبذلك، تظل قصائد شوقي الوطنية منارة خالدة تؤكد أن تحرير الأرض معلق أبداً بتحرير العقول من أغلالها، وأن الانبعاث الوطني الحقيقي هو ثمرة لوعي حاد بالذات، واستلهام واع للتاريخ، وتطلع لا يلين نحو ذرى الكرامة والحرية

الخاتمة :

انّ الشعر الوطني، وإن تعددت مذاهبه الأدبية وتنوعت تجاربه الرؤيوية بين الشعراء، يظل نهراً واحداً يصبّ في مجرى الدفاع عن حِياض الوطن وإذكاء وعي الشعوب؛ فالمقصد الأسمى يظل دائماً صون الهوية واستعادة السيادة المسلوبة. وقد رأينا كيف استحال الحرف عند شوقي إلى قوةٍ قادرة على تعرية القبح وتشييد الجمال في آنٍ واحد.

بيدَ أنّ هذا الطرح يضعنا أمام تساؤلٍ جوهريّ يفرض نفسه على بساط النقد :وهل استطاعت تلك القيم المثالية التي بذرها شوقي في قصائده أن تُرسي دعائم مجتمعٍ جديدٍ متحررٍ من قيود الجهل والتبعية، أم ظلّ ذلك العالم البديل حُلماً أدبياً يُداعب خيال الأحرار دون أن يجد سبيله كاملاً إلى حيّز التحقق المادي؟